الدرس الثاني

العقيدة: تعريفها وطرق الإدراك فيها

obeikandl.com

obeikandl.com

تعريف العقيدة

العقيدة لغة: ـ هي على وزن فعيلة بمعنى مفعولة أي معقودة، والعقد هو الجمع بين طرفي الحبل. والعقدة في الحبل أقوى أجزائه، وسميت العقيدة بذلك لأن قضاياها ينعقد عليها القلب، فلا تقبل الانحلال لا بالظن ولا بالشك ولا بالوهم.

اصطلاحاً: ـ هي الإدراك الجازم المطابق للواقع الناشىء عن دليل[1].

محور العقيدة: ـ حديث جبريل عليه السلام الذي رواه عمر بن الخطاب في صحيح مسلم: ـ «بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ دخل علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، فجلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه وقال: يا محمد ما الإسلام؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج بيت الله الحرام إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: يا محمد ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى، قال: صدقت، قال: يا محمد ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: يا محمد متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فما أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، ثم خرج، فقال النبي ﷺ عليَّ بالسائل، فخرجوا يطلبونه فلم يجدوه، فقال ﷺ: أتدرون من السائل؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إنه جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم أمور دينكم»[2].

---

(١) وتعرف أيضاً بأنها: مجموعة قضايا غيبية مجزوم بها، جاءت عن طريق الخبر الثابت.

(٢) رواه مسلم وأصحاب السنن بألفاظ متقاربة. انظر جمع الفوائد ح١ ص ١١ كتاب تعريف الإيمان والإسلام. رقم الحديث ٣٦. ثم إن بعض الروايات تقدم السؤال عن الإيمان وبعضها تقدم السؤال عن الإسلام أولاً، وهو من تصرف الرواة كما يرى ابن حجر، انظر فتح الباري ح ١ ص ١١٧ الحديث رقم ٥٠.

والعقيدة محلها القلب وهي ما جرى التعبير عنه في الحديث بالإيمان، وأما الإسلام فمحله الجوارح، وقد اختار الله تعالى الإنسان ليقوم بمهمة الخلافة في الأرض: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]، والمقصود بالخلافة هنا عمارة هذه الأرض ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[2]، على أن يتم ذلك من خلال خضوعه لشرائع الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3] وقد زوّده الله تعالى بوسائل الإدراك وتسمى بالحواس الخمس، ليتعرف من خلالها على ما يحيط به من حقائق، وأما ما لا يقع تحت الحواس الخمس من الحقائق الغيبية فطريق معرفته الخبر الصادق من عند الله تعالى.

وسنتحدث عن إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته، أولاً، ثم نتبعه بالحديث عن القضايا الإيمانية الأخرى وهي الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر.

ولكن هل يجب على المسلم حتى يصح اسلامه أن يستدل على وجود الله تعالى؟.

اختلف العلماء في ذلك على رأيين: -

الأول: - لا يجب الاستدلال على وجود الله تعالى وبه يقول جمهور المحدثين[4].

الثاني: - يجب الاستدلال على وجود الله تعالى، ولكن أصحاب هذا الرأي اختلفوا في وقت الوجوب، فقيل: يجب عند بلوغ سن التمييز وهو سنّ السابعة وبه يقول الإمام الطبري[5]، وقيل: يجب عند بلوغ سن التكليف وبه يقول الأشاعرة[6].

---

(١) البقرة آية ٣٠.
(٢) هود آية٦١.
(٣) الذاريات آية ٥٦.
(٤) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ح ٤ ص ٥٩ باب هل يكون مؤمناً من اعتقد الإسلام دون استدلال.
(٥) نفس المصدر
(٦) انظر جوهرة التوحيد. برهان الدين اللقاني، في مجموع مهمات المتون ص ١١.

وجه القول الأول: ـ أن الإيمان بالله تعالى فطري مركوز في النفس البشرية: «كل مولود يولد على الفطرة»[1] ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[2]، وقد شهد كل البشر لله تعالى بالوحدانية في عالم الذر حين أخرجهم من ظهر آدم بعد خلقه ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[3].

وجه القول الثاني: ـ أما قول الطبري، فلأن التمييز هو أول مراحل الإدراك فيجب أن يكون الاستدلال على وجود الله تعالى أول الحقائق التي يدركها الوليد عن طريق الولي.

وأما قول الأشاعرة: فلأن البلوغ هو أول مراحل التكليف لقوله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى حتى يبرأ، وعن الصبي حتى يكبر»[4].

ومحل هذا الخلاف: هو ما لم يكن عند المرء شك في هذه القضية وإلا فيجب الاستدلال عندئذ بلا خلاف وذلك تحصيناً للإيمان من سهام الشك والتشكيك.

وفي ظل الظروف التي نعيشها بعد سقوط دولة الخلافة الإسلامية العثمانية واقتحام الشرق والغرب لعالمنا الإسلامي بمبادئهم المنحرفة عن مقتضى الفطرة أصبح لزاماً على كل مسلم أن يلقن ولده الاستدلال على وجود الله تعالى ليحفظه من الضياع.

ولإثبات وجود الله تعالى طريقان: طريق الفطرة وطريق العقل.

---

(١) رواه البخاري ومسلم. انظر كشف الخفاء ح ٢ ص ١٨٢ رقم الحديث ١٩٩٠.
(٢) الروم آية ٣٠.
(٣) الأعراف آية ١٧٢.
(٤) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم عن عائشة مرفوعاً. انظر كشف الخفاء ح ١ ص ٥٢٣ رقم الحديث ١٣٩٤.

الطريق الأول: طريق الفطرة:

الفطرة لغة: ـ الخِلْقةُ ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

اصطلاحاً: ـ هي الصفة التي يكون عليها كل موجود أول زمان خلقته[2].

والإنسان يتكون من مادة وروح، المادة هي الجسم البشري، والروح هي الطاقة المحركة لهذا الجسم. ولكل من الجسد والروح غذاؤه:

ولما كان جسد الإنسان مصدره الأرض، بدليل قوله تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[3]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾[4] كان مصدر غذائه من الأرض أيضاً، وهو النبات والحيوان، ولما كان مصدر الروح السماء بدليل قوله ﷺ (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح)[5] كان مصدر غذائها من السماء أيضاً، وهو الوحي الإلهي، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[6] فالوحي غذاء الروح، كما الطعام غذاء الجسد.

وكما قد أودع الله تعالى الشهوات في الإنسان ـــ شهوة المال والجاه والجنس ـــ لتكون دافعاً له في القيام بعمارة الأرض، ولا يشعر المرء بها إلا عند الحاجة إليها، فشهوة الطعام والشراب لا يشعر بها إلا عند الجوع أو العطش، وشهوة الجاه لا يشعر بها الإنسان إلا عند التعامل مع الناس، وشهوة الجنس لا يشعر بها إلا عند البلوغ.

---

(١) فاطر آية ١.
(٢) انظر ترتيب القاموس المحيط ح ٣ ص ٥٠٣.
(٣) طه آية ٥٥.
(٤) الحج آية ٥.
(٥) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٤٨ كتاب القدر. باب في الخلق والشقاوة والسعادة. رقم ١٨٤٧.
(٦) الأنفال آية ٢٤.

كذلك فإن الله تعالى قد أودع الإيمان به في قلب الإنسان ليكون دافعاً له نحو خالقه، ولا يشعر المرء بهذا الإيمان الفطري إلا عند التعرض للخوف، الذي يتهدد حياته، الذي هو بمثابة الجوع المعنوي، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾[1].

ومن هنا امتن الله تعالى على الناس بأنه تعالى هو مصدر الأمن من الجوع والأمن من الخوف في حياتهم ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴿٤﴾﴾[2].

فصح أن الإيمان بالله تعالى فطرة مغروزة في النفس البشرية تتحرك بصورة قطعية عند الخوف على الحياة في كل إنسان مهما كان طاغياً أو غافلاً حتى فرعون الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[3]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[4] فإنه حين أدركه الغرق قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[5]، لكن الله تعالى لم يقبل منه هذا الإيمان لأنه كان اضطرارياً وليس اختيارياً.

الطريق الثاني: طريق العقل

ويجدر الإشارة إلى مقدمات بين يدي الكلام عن طريق العقل لمعرفة أنواع الأحكام وطرق وصول العقائد إلى القلوب وبعض أهم القواعد العقلية المعترف بها لدى كل البشر لتكون وسيلة لإثبات القضية المختلف عليها بين المؤمنين والملحدين وهي الإيمان بالله تعالى.

تنقسم الأحكام إلى ثلاثة أنواع[6]: عادية، وعقلية، وشرعية.

---

(١) العنكبوت آية ٦٥.
(٢) قريش آية ٤، ٥.
(٣) النازعات آية ٢٤.
(٤) القصص آية ٣٨.
(٥) يونس آية ٩٠.
(٦) أورد الأحكام العادية والأحكام العقلية الأستاذ عبد الرحمن حبنكة في كتاب: العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٦٥.

الحكم لغة: ـ مصدر مشتق من الحكمة بتحريك الحاء المهملة والكاف والميم وهي الحديدة التي توضع في حنك الفرس لضبط حركته.

اصطلاحاً: ـ هو نسبة أمر لأمر أو نفيه عنه.

القسم الأول: ـ **الأحكام العادية**: ـ وتنقسم إلى ثلاثة أنواع: ـ

ممكن عادي: ـ وهو كل ما أمكن وجوده وعدمه، مثاله: المطر في الشتاء قد يكون وقد لا يكون، الحر في الصيف قد يكون وقد لا يكون وكذا الرياح في الشتاء قد تكون وقد لا تكون.

الواجب العادي: ـ هو ما لم يتخلف عادة، مثاله: جاذبية الأرض إلى أسفل، نمو النبات إلى أعلى، برودة الثلج، وحرارة النار. وتسمى سنن الكون والحياة.

المستحيل العادي: ـ وهو ما لا يحدث عادة. مثاله: عودة الحياة بعد الموت إلى الأبدان في الدنيا، برودة النار، وحرارة الثلج.

القسم الثاني: ـ **الأحكام العقلية**: ـ وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: ـ

الممكن العقلي: ـ وهو ما يقبل العقل وجوده وعدمه مثاله: الحياة بعد الموت، وبرودة النار. إذا توفرت القوة القادرة على تحقيق ذلك.

الواجب العقلي: ـ وهو كل ما لا يقبل العقل عدمه. مثاله: لا بد لكل حدث من محدث، ولا بد لكل فعل من فاعل.

المستحيل العقلي: ـ وهو ما لا يقبل العقل وجوده. مثاله: الجزء أكبر من الكل، اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما، كقولك زيد حي ميت أو زيد لا هو حي ولا هو ميت.

القسم الثالث: ـ **الأحكام الشرعية**: ـ وهي من المستحيل العادي والممكن العقلي قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1]، وهي على نوعين: الأول: أحكام تكليفية

(١) الإسراء آية ٨٨.

وهي: واجب، مندوب، حرام، مكروه، مباح. والثاني: أحكام وضعية وهي: السبب والشرط، المانع، الرخصة والعزيمة، الصحة والبطلان.

الطرق المؤدية إلى الإدراك

تنقسم الطرق المؤدية إلى إدراك الأشياء إلى ثلاثة طرق[1]: ـ

الطريق الأول: ـ طريق منطقي سليم يسلك بصاحبه مسلك اليقين.

واليقين: هو إدراك الشيء على ما هو عليه حقيقة، وينقسم إلى أربع شعب:

الشعبة الأولى: ـ إدراك حسي، فعلم يقيني، فاعتقاد راسخ، وينشأ عنه سلوك معين يتناسب معه.

الشعبة الثانية: ـ استنتاج حسي، فعلم يقيني، فاعتقاد راسخ. وينشأ عنه سلوك معين يتناسب معه.

الشعبة الثالثة: ـ الخبر الصادق، فعلم يقيني، فاعتقاد راسخ. فسلوك متناسب معه.

الشعبة الرابعة: ـ الإضاءة الفطرية (الفراسة)، فعلم يقيني، فاعتقاد راسخ. فسلوك متناسب معه.

الطريق الثاني: ـ طريق منطقي مقبول يسلك بصاحبه مسلك الظن وهو إدراك الطرف الراجح، ويشتمل على أربع شعب:

الشعبة الأولى: ـ إدراك حسي، فعلم غالب، فاعتقاد راجح. فسلوك متناسب.

الشعبة الثانية: ـ استنتاج حسي، فعلم غالب، فاعتقاد راجح. فسلوك متناسب.

الشعبة الثالثة: ـ الخبر الصادق، فعلم غالب، فاعتقاد راجح. فسلوك متناسب.

---

(١) انظر العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٣٣.

obeikandl.com

الشعبة الرابعة: ـ الإضاءة الفطرية فعلم غالب، فاعتقاد راجح. فسلوك متناسب.

الطريق الثالث: ـ مرفوض يسلك بصاحبه مسلك الشك وهو استواء الطرفين، والوهم وهو إدراك الطرف المرجوح، وله أربع شعب:

الشعبة الأولى: ـ إدراك حسي، فعلم خاطىء غالباً أو دائماً.

الشعبة الثانية: ـ استنتاج حسي فعلم خاطىء غالباً أو دائماً.

الشعبة الثالثة: ـ الخبر الخاطىء فعلم خاطىء غالباً أو دائماً.

الشعبة الرابعة: ـ الإضاءة الفطرية الخاطئة فعلم خاطىء غالباً أو دائماً.

فلا يصح أن يعتمد العقل سوى الطريق الأول والثاني في معرفة الحقائق، ولا يصح أن يختلف السلوك عن مقتضى الاعتقاد الراسخ المبني على العلم اليقيني المنبثق عن الإدراك الحسي أو الاستنتاج الحسي أو الخبر الصادق أو الإضاءة الفطرية الصحيحة، وإلا كان كمن فقد هذه الحواس ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1].

قواعد عقلية عامة[2]

ما دام البحث منصباً على قضية إثبات وجود الله تعالى بطريق العقل فإن من المناسب أن نذكر قواعد عقلية مسلمة بين يدي الكلام في الأدلة العقلية على وجود الله تعالى لتكون مدخلاً للأدلة العقلية الرئيسية، من هذه القواعد: ـ

١ـ الدور باطل: ـ وهو توقف وجود الشيء على وجوده نفسه. كقولنا: لن تدخل الجنة حتى تؤمن ولن تؤمن حتى تدخل الجنة.

٢ـ التسلسل باطل ـ وهو توقف حصول الشيء على حصول غيره بلا نهاية.

---

(١) الأعراف آية ١٧٩.

(٢) أشار الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي إلى ثلاثة منها، وهي (١ و٢ و٤) في كتابه (كبرى اليقينيات الكونية) ص ٧٩.

٣ـ النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان: ـ إذا وجد أحدهما انتفى الآخر. كالليل والنهار، والموت والحياة، إلا أن تنفك الجهة الزمانية أو المكانية.

٤ـ لا ترجيح بلا مرجح: ـ كالحال في كفتي الميزان لا ترجح إحداهما على الأخرى إلا بشيء يوضع فيها وإلا كان الميزان فاسداً.

٥ـ لا بد لكل حدث من محدث أي (لا بد لكل فعل من فاعل).

٦ـ لا بد لكل حادث من بداية وما كان له بداية فلا بدّ له من نهاية.

٧ـ الخبر المتواتر يفيد العلم اليقيني: ـ لأن العادة تحيل تواطؤ رواته على الكذب.

والعقل يرفض ما يناقض هذه القواعد كما يرفض البدن السليم ماا يدخل فيه من الأجسام الغريبة كالشوكة ونحوها، ما لم يكن العقل مريضاً، بأن يكون فيه واحد من الموانع التالية: ـ

اتباع الهوى، وهو فعل المرء ما يرغب، دون مراعاة لمقتضى الشرع أو العقل.

التقليد، وهو العمل برأي الغير بدون معرفة دليله من كتاب أو سنة.

التعصب، وهو تقديم قول من يحب ولو تبين له خطأ ما هو عليه عقلاً أو شرعاً.

اتباع الشهوات، وهي شهوة الجاه أو الجنس أو المال وتقديمها على مقتضى الشرع.

مثال تطبيقي: كان النبي ﷺ معروفاً بين الناس في مكة بالصادق الأمين فلما نزل عليه الوحي اتهموه بالكذب والجنون. اتباعاً للهوى وتقليداً للآباء وتعصباً لهم وحفاظاً من زعماء قريش على شهواتهم المادية والمعنوية.

وسنتحدث فيما يتعلق بتوحيد الله تعالى عن الأدلة العقلية في إثبات وجوده في إطار ما يسمى بتوحيد الربوبية، ثم نتبعه بالكلام عن توحيد الألوهية ثم توحيد الأسماء والصفات.